المقدمة

مع انتشار نموذج الدولة القومية القطرية، القائمة على أسس علمانية، ومستمدة من تجربة الغرب السياسية، أصبحت معارك الداخل تشتبك مع معارك الخارج. فقد أصبح النموذج السياسى المهيمن فى البلاد العربية والإسلامية، يمثل ركنًا أساسيًا من التحديات التى تواجه الأمة. فلم تعد الأمة تواجه العدوان الخارجى فقط، بل أصبحت تواجه أيضًا الاستبداد الداخلى، ولم تعد تواجه العولمة والتغريب القادم من الخارج فقط، بل أصبحت تواجه أيضًا التغريب والعلمنة القادمة من الدول الحاكمة نفسها. فأصبح تحدى النهوض الحضارى المستند لمرجعية الحضارة الإسلامية، يواجه بعقبات من النظم الحاكمة المحلية، كما يواجه بعقبات من القوى الغربية المهيمنة.

وأصبحت الدولة القائمة بتوجهاتها القومية القطرية الضيقة، تمثل حائطًا أمام استعادة الأمة لهويتها الجامعة؛ مما جعل الدولة فى قلب المواجهة، وفى بؤرة المشكلة. فالدول القائمة، تمثل جهازيًا إداريًا، توجهه السياسات الحاكمة، التى جعلت الدولة فى مواجهة مع الهوية العربية والإسلامية، وجعلتها فى مواجهة مع الحركة الإسلامية، وفى مواجهة أيضًا مع الشعور المتنامى للأمة الإسلامية الراغب فى تحقيق الوحدة والنهضة. وباتت الدول القائمة عقبة أمام رغبة الأمة فى المشاركة فى الجهاد والمقاومة ضد كل محتل فى أى أرض عربية أو إسلامية، فأصبحت المقاومة تحاصر من الدول القائمة، قدر محاصرتها من العدو نفسه.

لقد أصبحت الدولة القائمة تمثل حائط الصد الرئيس أمام المشروع الإسلامى، وباتت نقيضًا للدولة المستندة إلى المرجعية الإسلامية، ليس من حيث هى جهاز إدارى، ولكن من حيث التوجهات السياسية للنخب الحاكمة التى اختطفت الدولة لمصلحتها، وعزلتها عن هوية المجتمع والأمة، بل وعزلتها أيضًا عن القيام بمسئولياتها الاجتماعية، ولا نقول الدينية. لهذا باتت المعركة حول الدولة تتمثل فى رؤية قومية قطرية علمانية تتحكم فى الدولة الآن، ورؤية إسلامية حضارية جامعة، تبشر بها الحركة الإسلامية، ومعها قطاع واسع من جماهير الأمة.

وفى تلك المعركة استمرت نخب الحكم تواجه الحركة الإسلامية، حتى سقوط بعضها فى ربيع الثورات العربية، فبدأت المواجهة تصبح بين الدولة وسياسة الحكم القائمة وبين الحركة الإسلامية.

فما زالت الدولة بعد الثورات، تمثل طابعها القومى العلمانى، وما يرتبط به من سياسات حكم. وما زالت الحركة الإسلامية تمثل بديلاً لهذه السياسات. ولكن الحركة الإسلامية استفادت من مناخ الحرية بعد الثورات، وبدأت المعركة السياسية بين الحركة الإسلامية وسياسات الدولة القائمة.

د. رفيق حبيب

***